د. صبرى الشبراوى :

عالم القوة التنافسية .. وخطيئة تأميم الحلم!

● نحن نواجه حربًا تسويقية وليس حربا اقتصادية.

● مصر من أغنى بلاد العالم إذا قاومت فقر الفكر، وفكر الفقر.

● طاقة مصر البشرية فى الخارج، هى قوتنا التنافسية التى لا نستخدمها ، ولكن نغربها!

● المخزون الحضارى المصرى لم يكتشف بعد ، ومن هنا إسرائيل لا تهددنا، ولا يمكن أن تهددنا.

● لابد أن يتوقف المصريون عن مخاطبة الدولة قائلين: «إنت بابا... وانت ماما... وانت كل شىء فى حياتنا»!

● اخترعنا نسقا إداريا اسمه: (الإدارة بالأطفال) يعتمد على اعتبار الإنسان طفلا يستوجب الحضانة، وليس طاقة تقتضى إطلاقها عبر التنافس!

- إذا فكرنا تفكيرا بسيطا سننتج مشاكل على شكل بشر ، ولن ننتج بشرا يحل المشاكل!
- أحد مشاكلنا أننا نفهم الثقافة بوصفها (ثقافة أدب) ، وليست (ثقافة حياة).
- يجب أن تعيد الأحزاب السياسية فى مصر النظر فى القيم السائدة فيها!
- لابد أن ننتقل - عبر الوعى - إلى (ثقافة المشاركة)، بدلا من (ثقافة المشاهدة)!
- كل فرد فى مصر.. هو سهم فى مصر!
- يجب أن تتعلم الأحزاب من درس القوات المسلحة عام٧٣!

الدكتور صبرى الشبراوى رئيس لجنة التنمية البشرية فى الحزب الوطنى، وعضو مجلس الشورى والأستاذ بالجامعة الأمريكية، هو واحد من الذين احترفوا إيقاظ المجتمع، وإزعاجه، وإفاقته، وتعليمه عدم الركون إلى خدر النعاس اللذيذ فى الظلال الوارفة لما هو (سائد)، و (تقليدى)، و (ممكن).

وعلى الرغم من كل ارتباطاته الرسمية، إلا أنه يمثل نمطا آخر يتجاوز الكثير من الحدود، بل والأعراف الرسمية السائدة، حين يبدى رأيا أو يناقش قضية.

وهو يرى أن وظيفة المنورين المتنورين، هى أن يمثلوا الصدمة اللازمة للإفاقة، ودفع المجتمع لتلبية نداء القيادة بتحقيق الانطلاقة!

وهو يرى أن الاستثمار فى البشر، هو ما يثبت أن مصر بلد من أغنى بلاد العالم.

وهو يرى أن الطاقة الكامنة فى مصر تؤكد أن إسرائيل لا تهددها، ولن تهددها بالمعايير التنافسية.

وهو يرى أن الوقت قد جاء لتحل (ثقافة المشاركة) محل (ثقافة المشاهدة)، وتحل (ثقافة الحياة) محل (ثقافة الأدب)!

وهو يرى أننا يجب أن نتعلم ضرورة التوقف عن مخاطبة الدولة قائلين: «إنت بابا.. وإنت ماما... وإنت كل شىء فى الوجود».

.....

وهو يرى غير هذا أفكارا كثيرة، كانت جميعها موضع حوار، كما كانت موضع اختبار، حين جاء ليزور دار الأهرام الجديدة فى لندن، ويناقشنا ويحاجينا ويختلف معنا.. ونختلف معه..

وهنا نص الحوار:

● مصر الآن، جزء من إقليم تكتحسه بعض المقولات المقدسة التى لا نعرف مصادر قدسيتها، والتى تتحدث عن شرق أوسط جديد، ومستقبل اقتصادى يتحصل كل طرف نصيب منه وفق تصوراته عن ذاته أو خيالاته عن ذاته، وليس وفقا لمعطيات واقعية يمكن التحقق منها بالنظر واللمس. وفى هذا الإطار ذاعت وشاعت بعض مقولات أسطورية عن تحجيم مصر، وحصار الدور المصرى، وتهميش التأثير المصرى.

ما هى ملاحظاتك على مثل هذا الجدل العجيب.. وكيف تقوّم رد فعل الجماعة الثقافية أو الجماعة السياسية بمختلف اتجاهاتها إزاء هذا الفلكلور السائر الدائر؟

○ العالم كله يموج بتيارات وتغيرات خطيرة، سواء فى أوروبا، أو آسيا، أو إفريقيا.

نحن نرى تجمعات أوروبية لها أهداف، وكذلك تجمعات آسيوية ذات أهداف مغايرة، وتجمع آخر من الولايات المتحدة والمكسيك وكندا، وبعض دول أمريكا اللاتينية، وعلى الجانب الآخر فإن الصراع الداخلى أضعف روسيا خارجيا، ولم تعد القوة التى تحدث التوازن فى العالم سياسيا أو عسكريا، فى حين تجتاح المشاكل إفريقيا بين أمراض اجتماعية وبيولوچية، أوحكومات ضعيفة وديكتاتورية.

الدنيا تتغير... بشكل درامى مثير.

ولا يوجد ـ الآن ـ من يلعب دورا واحدا، أو يحصر نفسه فكريا وثقافيا واقتصاديا فى تجمع واحد.

ونحن فى مصر لابد أن نكون مع التجمع العربى، ومع التجمع الأوروبى، ومع تجمع الشرق الأوسط، ضمن عملية تبادلية مع كل طرف، تحكمها حسابات

جيدة فى عالم يكشف بعضه بعضا تماما، إذ يظل العنصر الحاكم فى هذا الوضع هو القوة الذاتية، التى تحدد قوتنا فى العالم، بحيث كلما قلت هذه القوة أصبحنا تحت تأثير الغير، وكلما زادت هذه القوة أصبحنا أكثر استقلاليه، وأكثر تأثيرا فى الآخر، وما يصدق ـ طبقا لهذه المعادلة على (مصر والعالم) يصدق على (مصر وأى من التجمعات التى تكون طرفا فيها).

وإذا استخدمنا التعبير الأصح فى وصف ما يجرى فى العالم، فإنه عالم (القوة التنافسية)، وإذا حددنا اللعبة التى تحكم هذا العالم فهى (لعبة التسويق الدولى)، سواء كان تسويق أموال، أو تسويق بضائع، أو تسويق أفراد، أو تسويق نظم.

نحن نواجه حربا تسويقية شاملة وليس حربا اقتصادية.

الحرب الاقتصادية يمكن لمسها، أما الحرب التسويقية فهى حرب تتعلق بتبادليات القيم، فحين تتعلق الحرب الاقتصادية بسيارة، فإن الحرب التسويقية تتعلق بالقيم التى تمثلها هذه السيارة (سرعة ـ تصميم ـ لون . . . إلخ).

● **ولكن هذه الفكرة عن تبادلية القيم، فى ساحة ما كنا نتحدث عنه حالا بخصوص مستقبل المنطقة التى نعيش فيها، وفى ضوء هذه الأفكار عن حصار دور مصر.. هذه الفكره تتحول فى الواقع من (تبادل) إلى (إملاء)!**

○ كلما كانت قوتك التنافسية ضعيفة، استطاع الآخرون الإملاء عليك، وعلى سبيل المثال نحن نقدم أحسن كفتة فى العالم، ولكن الأطفال والكبار يقبلون على شراء ماكدونالد التى تقل فى مواصفاتها عن كفتة أى حاتى مصرى. لأننا توقفنا عن إنتاج السلعة، ولم نضعها فى نسق فيه جو خاص، وموسيقى، وألوان، وفروع فى كل مكان.

سنظل تحت التأثير طالما لا نتفهم احتياجات الناس ولا نقوم بإشباعها، بما يفتح الباب أمام الآخرين لإشباعها.

أسمع ـ كثيرا ـ من يرددون أن مصر (مستهدفة)، وهذا صحيح ـ بالقطع ـ فمصر مستهدفة، وأنا مستهدف، وأنت مستهدف، ولكننا نسمى (التنافس) استهداف، فى حين أن التنافس عملية صحية تحدث ـ حتى ـ بين الأشقاء، والطبيعى أننا ننافس كل دول المنطقة، وتنافسنا كل دول المنطقة.

إذا قعدنا نولول، ونلطم الخدود، ونقول إننا مستهدفون، ولا ننظر إلى بلدنا من الداخل، وندعم قواها، نسوف نسقط فى وهم أن العالم كله يتآمر علينا.

إذا لم ننتج الصابون، ومعجون الأسنان، والسيارة، وجهاز التليفزيون بمواصفات عالمية، فسوف تدخل إلينا السلع الأجنبية، ونصبح فى وضع من يملى عليه!

● **د. صبرى.. لقد أسمعت الإسرائيليين لهجة شديدة فى الندوة التى نظمتها هارفارد فى لندن فى مطلع يوليو الجارى، وكانت لهجة تعتمد على رفض الإملاء، ولكن لغتك الشديدة هذه لابد أنها كانت تستند إلى قوة، فلا يمكن أن تكون معلقة من جذورها فى الهواء. ما هى عوامل القوة التى تتمتع بها مصر اليوم فى عالم متغير؟**

○ هناك فارق بين أن تكون قدرتك التنافسية ضعيفة، فيملى عليك الآخرون، وبين أن تكون قدرتك التنافسية عالية، على حين يخلق الآخرون عندك «عادة» أن يملى عليك.. ونحن يجب أن نكسر العادة. وهذا ـ بالضبط ـ ما يفعله الرئيس مبارك على محورين، فهو يزيد من القدرة التنافسية لمصر، ثم يرفض الإملاء، ويكسر محاولات خلق الاعتياد.

حين تريد الحديث عن مصر، فلا تنظر للأرقام الصماء، ولكن انظر إلى الطاقة الكامنة.

مصر من أغنى بلاد العالم، إذا اعتمدت إستراتيجية بناء ترتبط بمفاهيم ومحددات عملية، وليس بأفكار تنظيرية وفلسفية، وأمامنا أمثلة جلية لبلاد فقيرة أصبحت غنية فى آسيا وغيرها، حين استخدمت أدوات معروفه تعالج أوضاعا عملية، ولا تغرق فى بحر الفلسفة.

مصر لديها إمكانيات بشرية رهيبة، ليس فقط فى الداخل، ولكن فى الخارج أيضا، وهؤلاء المصريين فى الخارج يعرفهم العالم بوصفهم مهنيون يبعثون على الفخر، وعقول تبعث على الاحترام، وهم لم يتغربوا، ولكنهم غربوا (بضم الغين)، ولم يهاجروا، ولكن هجروا (بضم الهاء)، وهم ـ جميعا ـ يمثلون قوة مصر التنافسية.

نحن مستهدفون... نعم.. ولكن فى هؤلاء بالذات، ونحن لا نستفيد بهم، وإنما نمعن فى تغريبهم.

رأس المال البشرى أهم وأندر رأسمال، لأن الاقتصاد مبنى على نظرية اكتساب القيمة عبر الندرة، وهؤلاء هم الندرة.

المخزون الحضارى فى مصر لم يكتشف بعد، وهو طاقة رهيبة كنت أشعر بها وأنا أتحدث إلى الإسرائيليين فى ندوة هارفارد.

نحن أقوياء جدا، وقد أثبتنا هذا عدة مرات، فحين يتوافر لدينا الحافز والنية والنظم، فإن يدنا تكون العليا بلا منازع. أما حين يكون هناك تراخ فى استخدام مواردنا، فإننا نكون فى وضع آخر.

مرة أخرى.. نحن أقوياء جدا، ومن هذا المنطلق، فإن إسرائيل لا تهددنا، ولا يمكن أن تهددنا.

فقر الفكر!

● (بلد غنى.. وفكر فقير) جملة سمعتها منك، وأظن أنها تستبطن

داخلها معان كثيرة ومركبة، كيف يمكن أن يستقيم معنى (فكر الفقر... أو فقر الفكر) مع المخزون الهائل للطاقة البشرية فى مصر الذى تتحدث عنه دوما؟

○ المحك الأساسى فيما تسأل عنه، هو فرز وإبراز قيادات تؤمن بأن الفكر الغنى، وغنى الفكر يتحققان من خلال تنمية البشر واحترامهم، والاستثمار فيهم.

فحين يكون الهدف هو تحريك جميع طاقات المجتمع، فإن المحك يرتبط بمن يدير هذه العملية على المستوى التنفيذى.

لابد أن نمحو اللغة القديمة، والمفردات القديمة، ونعتمد لغة مجتمع غنى.

فقر الفكر، وفكر الفقر يرتبط بمعنى: (أنا أريد أن أكون غنيا والناس كلها فقيرة)، ونحن نشاهد عشرات الأمثلة على هذا فى كل يوم، فصاحب المصنع الذى يريد أن يربح، دون أن يعتنى بتعليم عماله وصحتهم، أو يلوث البيئة فيضر صحة المجتمع كله، هو ـ على هذا النحو ـ واحد من قادة فكر الفقر.

وحين يرى مدير مصلحة، أن قوته تتحقق بضعف العاملين معه، أو بمعنى آخر يريد أن يصبح قويا على حسابهم فهذا فكر/ فقر، لأن المفترض أن يقويهم، حتى تصبح المؤسسة قوية، ويصبح هو ـ بالتالى ـ قويا.

وعندما أصنع منتجا معينا، لابد أن أحرص على توافر قيم الذوق والحضارة والفائدة، وإلا فسوف أصبح مفقرا لذوق المستهلك، وبالتالى واحدا من قادة فكر الفقر.

وحين تحتكر الإدارة، أو الحكومة بعض الخدمات مثل: المياه والتليفونات، فإن هذا يضعف المستهلك، ويضعف توقعاته فى الحياة، وتكون الحكومه ـ هنا ـ منتجة لفكر الفقر، حين تسلبه الاختيار بين بدائل متنافسة.

وهكذا، فإن عدم احترام قيم المستهلك واستغلاله، أو غشه، أو عدم إعطائه معلومات، أو حجب حقه فى المعرفة يمثل فكر الفقر عند نقطة حده الأقصى،

والتى ترتبط ارتباطا عضويا بمعنى الاحتكار، تتساوى فى هذا رأسمالية الفرد أو رأسمالية الدولة.

● **فإذا ما باعت مشاريعها الإنتاجية والصناعية.. ثم كسرت احتكارها فى كل الخدمات أيضا.. فما الذى سيتبقى لها من حدود دور فى المجتمع؟**

○ دورها هو أهم الأدوار.

دور الدولة القوية هو أن تضع مستويات للأداء، سواء كانت مستويات لأداء المجتمع، أو مستويات لأداء الشركات الخاصة، وتكون هى القائدة فى صياغة التوازن داخل المجتمع ومنع الاحتكار، ولعلها سارت خطوات فى هذا السياق بقوانين منع الاحتكار. لأن دور الدولة هو الحفاظ على الفرد، ورفع مستوى حياة البشر، وتحقيق أعلى مستويات المعيشة (Quality of life)، مستوى جندى الشرطة واحد من قيم الحياة، ومستوى الرصيف فى الشارع واحد من قيم الحياة، ومستوى صحة الناس، أو معدلات الأداء، هى ـ كلها ـ من قيم الحياة.

الدولة هى عين وضمير المجتمع، وهذه قوة فى حد ذاتها.

وهناك رابطة قوية بين احتكار النشاط المالى والاقتصادى، واحتكار النشاط السياسى فى بعض الدول.

فالاحتكار يهندس فلسفة دولة، بحيث تدير الأمه على أساس مجموعة من الافتراضات الخالدة، فإذا رأت الدولة إنسانها بوصفه جاهلا، فإنها تقيم أنظمه تتعامل معه بحسب جهله.

أما إطلاق القدرة التنافسية، وإدراك حدود الطاقة البشرية، فإنه يخترق ـ بطبيعته ـ حدود هذه الافتراضات الخالدة، ويرى فى الإنسان الذكاء، والقدرة على التعلم، واستحقاق الحقوق.

إذا لم يعرف الناس حقوقهم، فسوف تعاملهم الدولة كأطفال، وتصادر قدرتهم على النمو، فيهبط مستوى البشر، وينزل مستوى المجتمع.

ولقد هاجمت ـ كثيرا ـ فكرة اسمها: (الإدارة بالأطفال)، تسود سلوك بعض الأنظمة مع ناسها، حين تدير حركتهم وكأنهم يحتاجون طوال الوقت إلى حضانة، وليسوا طاقة تقتضى الإطلاق عبر التنافس.

إذا ما حدث هذا ينساق الناس إلى مخاطبة الدولة: «إنت بابا... وإنت ماما.. وإنت كل شىء فى حياتنا»!

أما حين تطلق الدولة عمليات التنافس، فإن الوضع يكون مختلفا. ولنأخذ مثلا هنا بعمليات التعليم، فهى ساحة تنافس بين أكثر من جهة (الإعلام والمدرسة والمسرح.. وغيرها). فإذا أطلقنا التنافس إلى النهاية، فإن النتيجة ستكون تعليم البشر كما ينبغى، ومن ثم إضافة قوة جديدة إلى بدن المجتمع أو بدن الدولة.

وكذلك فى ساحة الصحافة، ستجد صحفا قومية وصحفا حزبية، وهذا احتكار، لأن هناك صحفا ليست هذه وليست تلك، والأساس فى الموضوع هو حق الإصدار.

الأساس ـ فى كل شىء ـ هو أن يحلم الفرد ويطمح، لأن الدول تتقدم بطموح أبنائها وقدراتهم، فإذا ربيت ابنك على أساس أن يكون خائفا، وليست له طموحات فلا داعى للتعليم أو التربية.

«هوندا» صنعها شخص بدأ من أول السلم فى الجراج، ولكنه كان يحلم، «وآبل» كومبيوتر صنعها شاب بدأ السلم من أوله، ولكنه كان يحلم.

حين يفصّل لك الآخرون «جاكيت أحلام»، ويقولون لك لا تخرج منه أو تتجاوزه، فإن ذلك يقتل قدرتك على الحلم والابتكار والاختراع، وهذه هى أسس التقدم.

ونظرة واحدة إلى القطاع الخاص المصرى تقول بأنه ـ أيضا ـ احتكارى، والحكومة واجبها أن تحمينى من المحتكرين، أو الذين يحترفون إخافتى، ويغلقون السكك، ويمارسون خطيئة تأميم الأحلام!

مصطباوى!

● كنت أول من طرح مفهوم التنمية البشرية فى مصر، وجعلته عملة متداولة، وقد لاك البعض هذا التعبير ـ فيما أظن ـ بطرق ـ جد ـ خاطئة ومبتذلة، حتى تاه المعنى، وضاعت دلالة الكلمات.. هل أصبحنا نحتاج أن نحدد معك المفهوم مرة أخرى؟.. أظننا نحتاج!

○ عندما كنت طالبا فى جامعة كاليفورنيا، ترافقت مع جيل من الدارسين، أصبحوا اليوم علماء مبرزين فى الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس، والإدارة، والفيزياء، والطاقة النووية.

وكنا نحلم بأن تكون مصر عظيمة.. ولم لا؟!

لقد كان الإحساس الذى ينمو لدىّ، والعلم الذى أتلقن يفضى بى إلى طريق وحيد هو أن الطريق إلى مصر عظيمة هو: الاستثمار فى البشر.

ولكن عندما رجعت الى الوطن، وجدت الناس يتكلمون فى الفلوس، وفى الحديد، وفى الزلط، وفى أى شىء آخر ما عدا البشر!!

ولم يكن واردا فى العالم لفظ التنمية البشرية، ولكن المستخدم هو التنمية الاقتصادية، فهندست هذا التعبير لأصوغ فكرة تمثل الطريق إلى مصر عظيمة، فإذا كانت (التنمية الاقتصادية) هى التعبير الأكثر شيوعا فى العالم، فلابد أن نسأل: ومن الذى يصنع الاقتصاد، أليس هم البشر؟

البشر هم الذين يضيفون إلى السلعة الذوق والفكر والفلسفة، إذن فهم صانعو الاقتصاد، وهم صانعو التقدم. والحديث عن التنمية يكون بتنمية الموارد البشرية بالدرجة الأولى.

البشر ليسوا السكان، فهم أصحاب أى بلد، وليسوا سكانا.

والفرد هو صاحب المصلحة، وهو أساس كل شيء فى وطنه، وليس مجرد تعداد أو سكان (كما أسمينا مرة إحدى وزارتنا: وزارة السكان)!

لقد طرحت الأمم المتحدة ـ بعدى بعشر سنوات ـ مفهوم التنمية البشرية، على حين مازلنا ـ برغم تبكيرى فى الدعوة ـ لا نفهم معالم المصطلح.

التنمية البشرية، هى علم وفن التبادليات بين خيوط النسيج البشرى فى مجتمع بعينه، وهذه التبادليات هى قوة المجتمع المحركة.

الإنسان له معايير مثل أى شيء، لأنه ـ فى ذاته ـ منتج بشرى (له صفات فكرية ـ وله عادات وقيم ـ وله سمات سلوكية)، وهو ينافس ـ بالطبيعة وبالضرورة ـ منتجات بشرية أخرى.

العملية معقدة، ولو فكرنا فيها بطريقة بسيطة أو مفلطحة، سننتج مشاكل على شكل بشر، ولن ننتج بشرا يحل المشاكل.

التفكير البسيط، لا يعترف بالتميز وبالندرة، ويعتبر الناس جميعا مثل بعضهم بعضا، وهذا تفكير ريفى، فلكورى، ضحل، يجعلنا فى موقف أضعف، حين نتجاهل تميز المتميزين وندرة النادرين، وهو يقلل من قدرتنا التنافسية، ومن اتسامنا بالدولية، فهو فكر قروى مصطباوى (!) يهدر القيمة البشرية.

● ما هى ملاحظاتك ـ يا دكتور صبرى ـ على أمر الجماعة الثقافية فى مصر، وهل تعتقد أن هذه الجماعة مؤهلة ـ على إطلاقها ـ لأن تكوّن رأيا عاما متبوعا، أو تشكل حجر زاوية فى حوار وطنى بناء، يلتحق بالمستقبل بأكثر مما يستغرق فى تفسير عناصر الماضى، ويرتبط بالتعبير عن مصالح أوسع قطاعات الناس، ولا يعكس انتهازية التعبير عن مصالح شخصية وفردية فحسب؟

○ والله هذا سؤال معقد.. ولكنه جميل على أية حال!

الجماعة الثقافية فى مصر مطالبة ـ قبل أى شىء ـ بأن تعيد النظر فى مفاهيمها.

وإذا فهمت هذه الجماعة ـ مثلا ـ فكرة التحالف الإستراتيجى بين المؤسسات المتنافسة، فإنها تكون قد أقرت بمفهوم التبادليات الذى يرتبط بفكر التنمية البشرية، فإذا كنا نرى شركتين متنافستين فى الكومبيوتر ـ مثلا ـ تريان أن هناك نقطة ضعف فى إنتاجهما لا تمكنهما من مواجهة المنافسة اليابانية، ثم قامتا بالاشتراك فى عمل منتج يتخطى نقطة الضعف هذه، وتستطيعان به منافسة السلع النظيرة من أيه جنسية، فهذا إقرار لمفهوم التبادليات، الذى نتجاهله فى مصر حين نعمل على أساس (أُخَسرك لكى أكسب أنا) لا (أكسب أنا وأنت)!

إذا فهمت الجماعة الثقافية مثل هذه المفاهيم، فإن نظرتها للثقافة سوف تتغير بدون شك، فهذه الجماعة ـ حتى اليوم ـ تتبنى مفهوما عتيقا للثقافة ـ ربما استقته من فرنسا ـ يقوم على أن الثقافة هى (ثقافة أدب)، وليست (ثقافة حياة)، أو (ثقافة مؤسسات).

المثقفون اعتادوا، وهذه خطيئة كبرى، أن يخاطبوا المالك للمؤسسة الثقافية، التى يعملون بها، سواء كان الدولة، أو كان الفرد.

هم ينتظرون ليتبينوا اتجاه المالك، ثم يعرفون ما يريده من نغمات. ومن هنا تحدث عملية أخرى سلبية جدا، هى كبت الفكر الجديد، وحجب إمكانية اكتشافه.

نحن فى حاجة لإطلاق قوى الابتكار عند المثقفين، ونحن فى حاجة إلى البحث عن المنورين المتنورين، وتنظيم إسهامهم، لأن هذا هو الذى يواجه فساد

الفكر، ويقضى عليه، حين يقر قواعد (ثقافة المشاركة) بدلا من قواعد (ثقافة المشاهدة) عند الناس.

وهنا سيصبح هَم الجماعة الثقافية الأول، ليس انتهازيا يخاطب مالك المؤسسة، ولكنه سيصبح ملتصقا ومرتبطا بثقافة الحياة فى أوسع معانيها.

أنا لا أستطيع أن أعتبر الطبيب مثقفا، مهما بلغت كفاءته أو تأهيله، إذا ما كانت عيادته قذرة، ولا أستطيع أن أعتبر المدير مثقفا، إذا أضعف موظفيه.

الثقافة مفهوم متكامل، ولن نكون مثقفين إذا كنا أغنياء بعقلية فقر، وإذا كنا متعلمين بعقلية فقر، وإذا كنا سياسيين بعقلية فقر!

أحزاب!

● **د. صبرى.. درجنا على اعتبار الحياة الحزبية فى بلد ما بمثابة مرآة عاكسة لمجمل العلاقات السائدة فى هذا البلد، سواء على محور الصراع أو على محور التعاون.. كيف تنظر إلى مفردات الحياة السياسية الحزبية فى مصر؟ وماذا تعكس هذه الأحزاب؟.. وهل تتصور أن زمر القيادة فى هذه الأحزاب يمكن أن تكون معنية بمفهوم من طراز (التنمية البشرية)؟**

○ أتمنى أن تعيد الأحزاب النظر فى القيم السائدة فيها، وأن تحترم حق الجمهور فى أن يعلم عن مصادر دعمها وتمويلها، وأن تعيد النظر فى قيم اختيار قياداتها، أو التعامل البينى للقيادات.

يستوى فى هذا الحزب الوطنى وأحزاب المعارضة.

لابد من إطلاق القوى التنافسية داخل كل حزب على حدة، ثم إطلاق هذه القوة التنافسية بين الأحزاب جميعا.

وظيفة العمل الحزبى هى تدريب الكوادر لكى يكونوا قادة للعمل العام، وفقا لأجندة سياسية حزبية معدة بدقة وتستهدف تنمية الأمة، بحيث يصبح أى تجمع سياسى جاهزا لإدارة جزء من هذه الأمة.

إذا لم تقتنع الأحزاب بأن وظيفتها هى خلق صفوف من المتخصصين فى كل مجال، فلن يكون لدورها أى ثقل، وسوف تهدم قيمة العمل، وقيمة التخصص، وقيم التقدم فى المجتمع، وتتحول الساحة الحزبية إلى متاهة لا أول لها ولا آخر.

المفترض أن تكون الأحزاب قدوة فى التربية السياسية، وفى تمثيل أهداف المجتمع، وفى مناقشة مشكلاته، وأن تسود الشفافية عملها، وأن تحترم ذكاء الناس.. لكى تسهم ـ بجد ـ فى التنمية البشرية.

أنا أرأس لجنة التنمية البشرية فى الحزب الوطنى، وهى لجنة محترمة جدا، بحثت وناقشت الانطلاقة والنهضة الحضارية، التى تدفع القيادة من أجلها، وتحدثنا فى هذه اللجنة عن أسس ديمقراطية مهمة، ولكن لا أحد يدرى بنشاطنا، لأن الحزب الوطنى محتاج لأن يطلق طاقات لجانه، ويخلق الحوار بينها، ويطلق التنافس داخله، كما ـ بالضبط ـ باقى الأحزاب، والتى تحتاج فوق هذا إلى النظر لبعض الكوادر النادرة، بوصفها كوادر قومية لاحزبية.

يجب أن تتعلم الأحزاب من درس القوات المسلحة عام ١٩٧٣، فلقد اهتمت القوات المسلحة بتنمية البشر فيها بعد الهزيمة ورفعت مستويات الأداء، وتوخت مواصفات معينة فى الجندى، ووضعت معايير لاختيار القيادات، وخاضت ماراثون تدريبى مخيف، وتسلحت بنوع المعدات المناسب لخططها، فانتصرت، وأدت أداء رفيعا.

لابد أن تتعلم الأحزاب، وكل المؤسسات المدنية عامة أو خاصة من هذا الدرس، وحين تستوعبه فإن مستقبل الأمه يصبح أمامها أفقا بغير حدود.

● **أعتقد ـ يادكتور صبرى ـ أن تدهورا أصاب اللغة فى مصر، ليس بالمعنى الحرفى للكمة، ولكننى أقصد باللغة التعريفات، والمفاهيم والدلالات، والمنطق.. فى وصف معاصر (للمصريين المحدثين). كيف ترى آثار هذا التدهور؟**

○ لابد ـ قبل أى شىء ـ من توحيد التعريفات لتتمشى مع ما هو سائد فى الدنيا كلها، فنحن نكتب على أى بقال (سوبر ماركت) أو (سوبر ستور) وهذا غش لغوى.

عندما يكون تعريفنا للأشياء مائعا، وغير مرتبط بحركة التقدم، فإن ذلك يعنى أننى أستطيع أن أسمى التليفزيون.. غسالة.

نحن نرى ـ مثلا ـ أن كلمة «Aggressive» معناها «عدوانى» فحسب عندنا، وهذا لا يتمشى مع معناها السائد فى نظم الإدارة فى العالم، فهى تعنى (حازم ـ حاسم ـ قادر على مواجهة المواقف)، أى أن لها معنى إيجابيا فى الدنيا، ولها معنى سلبيا عندنا.

تعريف الوقت يحتاج إلى تحديد بدلا من سيادة قيم الريف التى تتحدث عن (أول النهار)، و (آخر النهار) ، و(المغربية)، و (الضهرية)!

أى سلعة تحتاج إلى تعريف جديد، فمعظم تعريفاتنا تنصرف إلى ما هو مادى ملموس، ولا ترى غير المادى الذى ينتظم عملية إنتاج هذه السلعة، ويسبقها.

وأى علم يحتاج إلى تعريف يتمشى مع ما هو سائد فى الدنيا، فلو عرفنا هندسة الإنشاء بصفاتها المادية، سيكون تعريفنا ناقصا، يقتصر على الحديد والأسمنت والمكن. أما إذا تداخلت العلوم الاجتماعية وفكر المثقفين فى صياغة تعريف الهندسة، فإنها ستعنى على الفور (النمط المعمارى السائد ـ والكتلة والفراغ ـ والشكل الجميل ـ والبعد الحضارى والبيئى).

وترتيبا على ذلك ـ ووفقا لهذا المفهوم ـ فإنه ليس بالضرورة أن يكون مدير شركة الهندسة مهندسا، لكى يشغّل المهندسين، وإنما يكون مديرا صاحب رؤية، وعلى خبرة بعلوم الإدارة.

إذا صححنا التعريفات، فسوف نقدر على إطلاق طاقاتنا التنافسية مع العالم كله.

لوبى!

● **وأظن ـ كذلك ـ أن أقوى لوبى معارض فى مصر، يتشكل ـ الآن ـ من رؤساء الحكومات والوزراء السابقين الذين خرجوا من مناصبهم، أو المشتاقين إلى المناصب الحكومية الذين يعانون الإحباط أو خيبة الأمل.. لماذا ـ فى تصورك ـ يقترن أداء المثقف المصرى (تأييدا أو معارضة) بالموقع الذى يحتله فى قمة الهرم الحكومى من عدمه؟**

○ لأن الحكومة كانت المسيطرة على كل شىء لمدة ثلاثين عاما، كانت بابا، وكانت ماما، وكانت كل شىء فى الوجود.

ووصول أى إنسان إلى هدفه، كان لابد أن يقترن بمنصب حكومى. وإذا لم تكن حكوميا فيمكن أن تكون محلا للشك، لأن الأجهزة الحكومية، ثقافتها حكومية، لا تعترف بوجود ناس محترمين غير حكوميين، يمكن أن يكونوا سندا للدولة.

ولكن حين أطلقت الطاقات، فإن بقايا الثقافة الحكومية ما زالت لها بالمرصاد، وتشكل طبقة عازلة فوق هذه الطاقات، تمنعها من أن تحتل مكانها الملائم.

الطبيعى أن يطمح الإنسان فى اختراق هذه الطبقة، والطبيعى أن يبحث عن (متعته) التى ترتبط بتحققه، وإذا بحث عن (ألمه) فهو مريض!

الطبيعى أن يمتلئ الإنسان المتميز الموهوب النادر بالآمال والتوقعات.

أما هؤلاء الذين ينتمون للثقافة الحكومية، فهم حين يخرجون من مناصبهم، لا يعترفون بتسليم العصا إلى جيل آخر، وكفاءات أخرى فى سباق التتابع، فهم مدركون ـ جيدا ـ للقوة التى منحها لهم وجودهم فى السلطة، خاصة مع فكر الفقر الذى اخترعوه، والذى يمنح الوزير أنظف حجرة، وأنظف حمام، وأنظف سيارة، على حين المؤسسة كلها غير نظيفة، وبالتالى حين يخرج هذا المسئول من منصبه فإنه يفقد توازنه، نتيجة فقدانه للسلطة، ويحارب كل جديد، ويعارض كل أداء الدولة فى مصر، طالما ليس جزءا من بلاطها يستأثر ـ وفقا لفكر الفقر ـ بكل عناصر القوة التى توفرها له.. وله وحده فقط!

● **لديك ـ كما أعرف ـ أفكار وصياغات عن النخبة أو الصفوة، وقد طرحت الكثير منها فى هذا الحوار، إلا أننى ـ فى الواقع ـ أميل لأن أتوقف معك ـ قليلا ـ عند نقطة بؤر التكوين للنخبة المصرية المعاصرة، فهى لم تنبت فى رحم نضال وطنى ضد المستعمر، كما لم تنبع من عملية تغييرية ثورية ومتمردة، وهى ـ بالقطع ـ فى معظم حالاتها لا ترتبط (بالناس الكثير) على أى درجة أو مستوى. من أين ـ إذن ـ طلعت علينا النخبة الجديدة فى مصر؟ ما هى شرعيتها؟ وما هى مرجعياتها المعتمدة فى التعاطى مع أمور الوطن؟ ما هو قوامها؟.. من هم هؤلاء؟**

○ أنا لا أستطيع أن أسمى كل الموجود على السطح صفوة أو نخبة. النخبة الحقيقية المصرية غير مستخدمة، ومعظمها خارج مصر.

النخبة لا تعنى أن يكون عندى فلوس، أو لدى اتصالات.

أنت يمكن أن تكون رجل أعمال مميز فى الصناعة، ولكن هذا لا يعنى أن تكون مميزا فى كل شىء.

ولكن حين أكون رجل أعمال، ولدى منظور سياسى/ إنسانى/ حضارى، فأهتم بعمالى، وأنقل التقنية المتقدمة، فأنا ـ حينئذٍ ـ من النخبة.

النخبة هى التى تعبر من المحلية إلى الدولية، وترفع مجتمعنا إلى المقاييس العالمية فى كل شىء.

وعالمية المواصفات ـ كما بدأنا ـ هى التى ستطلق قدرتنا التنافسية مع الدنيا بأسرها.

أما الذين ينادون بالاستسلام للظروف والركون إلى السائد، فهؤلاء محليون، وغير وطنيى الفكر!

❑ ❑ ❑